

مصادر ونتائج الدراسات حول إبلا

أ.د. فيصل محمد عبد الله

جامعة دمشق

مصادر ونتائج الدراسة حول إبلا

لقد أدى اكتشاف مدينة إبلا ومحفوظاتها المسمارية خاصة (١٩٧٤-١٩٧٦) التي تعود للألف الثالث قبل الميلاد، إلى النهوض بحقل جديد من الدراسات الشرقية القديمة، وقد ظهر أخيراً ثلاث مقالات في المجلة الدورية الإبلانيات Eblaitica تدور حول واقع حال البحث والدراسات في هذا الموضوع**.

وقد كتب دياكونوف I.M.Diakonoff نبذة عامة تاريخية ولغوية في مقالته:

"The Importance of Ebla History and Linguistics PP. 3-29"

"أهمية إبلا بالنسبة للتاريخ والألسنة" حيث كرس جهده في هذه المقالة لمواجهة النظريات التي ظهرت بعيد سنوات اكتشاف نصوص إبلا، والتي جاءت نتيجة التسرع في الاستنتاج والتفسير، ونتيجة جهل كتابة وقراءة نصوص إبلا، التي تتطلب معرفة

* نتوجه بالشكر إلى إدارة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق حيث استطعت الإقامة في مكتبته لإعداد وكتابة هذا البحث.

**Fifteen years of studies on Ebla: A Summary. By A. Archi in Orientalistische literatur zeitung (OLZ) Bund 88. 1993. Heft 5/6. Pp 461-471.

الذي يشير إلى دراسات سبقتة واستقى منها وهي:

Gordon, Cyrus H. and Garg A. Rends burg (Eds).

Eblaitica: Essays on the Ebla Archives and Eblaite Language Vol 2; Winona Lake: Eisenbrauns 163S. 4 Publication of the center for Ebla Research York Uni, Geb. 27. 50.

وأحدثت هذه الدراسات المجلد الأخير من Ammurur I الصادر عن مركز أبحاث ماري في باريس تحت عنوان:

Mari: Ebla et les Hurrites, dix ans de travaux, Paris, 1996.

ونحيل القارئ إلى هذا العدد من أجل جمع المختصرات والمراجع للاستزادة.

خاصة، وكذلك قام جوردن C. H. Gordon في الدورية المسماة (إبلا والشمال الغربي السامي) "Eblaite and Northwest Semitic, pp. 127-139" بدراسة قائمة من الوثائق أو الرقم الإبلانية وما تضمنته من قواعد لغوية وتعابير. ومفاهيم دينية... الخ. وقارنها مع معلومات مماثلة مصدرها المناطق الغربية "السامية" أي سورية الغربية.

أم البحث الثالث فقد كتبه كيناست B. Kienast وفيتزوليت H. Waetzoldt تحت عنوان "اثنيتي عشرة سنة من عمر إبلا محاولة تقديم كشف عام" "ZWÖLF Jare" (pp. 31-77) "Ebla" Versucheiner Bestandsaufnahme، وقد أعطت مزيداً من التفاصيل حول مختلف جوانب حضارة إبلا وبصورة خاصة لغتها ومشكلاتها.

وقد نشرت نتائج أعمال البحوث التي كتبت في السنوات الأخيرة. في مجموعة من النصوص المنسقة من قبل ج. بيتينانو Pettinato:

"Catalogo dei testi Cuneiformi di Tell Mardikh Ebla (MEEI)"

وقام فيتزولت بتنظيم الجانب الاقتصادي المناط به:

"WIRTSCHAFTS – und Verwaltungs – texte" (pp. 33-58)

بما يتناسب والموضوعات المستمدة من النصوص المستمدة من النصوص سواء كانت زراعية أو صناعية أو تجارية أو دينية ... الخ.

أنجز كيناست في القسم المتعلق به، وهو قوائم بالمقاطع والنصوص التاريخية والأدبية:

"Historische und Literarische Texte, Silabar und Lexikalische Listen" A (pp. 58-74)

وهي تتبع التصنيف المعتمد في MEEI، وهي الطريقة المقبولة للنصوص الأدبية والمعجمية فقط، بينما أشار فيتزولت إلى أن قسماً كبيراً من الوثائق الملكية التي درسها كيناست على أنها نصوص تاريخية، هي غير ذلك، لأن المحتوى لم يؤيد تصنيفه، ولا

يوجد ما يؤكد أنها تتعلق بالإدارة أو بملكية الأراضي، أو أنها عبارة عن قوائم بأسماء المدن التي كانت تخضع لمدينة إيلا أو موزعة على الأمراء؟ إذاً، كيف يمكن للمرء أن يميز بين "كتاب رسمي" وبين "أوامر ملكية" وبين "تنظيمات وظيفية"، وبين "الرسائل"؟ إن عدم صلاحية اتباع هذا النوع من التصنيف هو بسبب أن معظم المجموعات أو النصوص هي في النتيجة "غير محددة أو مصنفة". وهكذا فإن المجلد التصنيفي يعطي فكرة عن الوثائق المحفوظة في إيلا ولكنها فكرة غير دقيقة ومصنفة بسرعة، وتوجد أخطاء في قراءة الأسماء الجغرافية وأسماء العلم. وعلى كل حال، من الصعب الإجابة عن سؤال في حالة إيلا، لماذا يجب على المرء أن يهجر العادة المتبعة في جميع المحفوظات الأخرى، (سواء كانت نصوصاً مسمارية أو بردية صغيرة) وهي ذكر رقم التسلسل للنصوص سواء كانت منشورة أو غير منشورة؟ وتكثر لوائح المطابقة بين أرقام القوائم والطبقات بمعدل له في أي مجال من مجالات الدراسات الشرقية القديمة.

تصنيف مجموعات المحفوظات:

- أ- هناك مجموعة مؤلفة من ٣٢ لوحاً صغيراً أو رقيم وبعض الكسر، قد وجدت في المكان ذي الرقم L.٢٥٨٦ ولم ينشر منها سوى أربعة نصوص.
- ب- المحفوظات التي عثر عليها في المكان ذي الرقم L.٢٧١٢ وهي عبارة عن ٢٤٢ لوحة أو رقيم وبعض الكسر الكبيرة والصغيرة وقد نشرت في:
ARENT IX (L. Milano): X (A. Archi - M. G. Bigu)
- ت- المحفوظات الرئيسة L.2769 ولكي تصبح مجموعات المحفوظات أكثر وضوحاً وتنظيماً، فقد أخذ بالحسبان كمال النصوص وسلامتها في القوائم مع التمييز بين:

- (١)- نصوص كاملة ومحفوظة جيداً بلغت ١٧٢٧ (أرقام القوائم TM. 75. G. 1216-2660) "علماء أن ٢٦٦٣-٢٦٦١ هي قطع صغيرة"

فيكون مجموع هذه المحفوظات الرئيسة بين ١٠٢٨١-١٠٠٠٠ وقد صنفّت هذه النصوص في نهاية الأمر في اثني عشر قسم، وهناك نصوص جمعت كسرها فيما بعد مثل:

TM. 75. G. 2001 + 2003 + 2004 + 2005 + 2006 + 2007;
2412 + 2427 = ARET VII, 1; 2493 + 2495

(٢) - "الكسر الكبيرة": وعددها ٤٧٧٠ (أرقام قوائمها: TM. 75. G. 3000-6050, 11000-12715).

(٣) - "كسر صغيرة": وهي بضعة آلاف وأرقام هي: ٤٧١٣ (TM. 75. G.) (15000-20000-4713)

وقد أعطيت هذه المجموعة أي ٤٧١٣ أرقام واحدة وبعضها محفوظة تحت أرقام رومانية.

ويضاف إلى هذه النصوص الوثائقية التي وجدت في حفائر عام ١٩٧٥ مئة كسرة وبعض الرقم والألواح التي عثر عليها أثر حفائر ١٩٧٦.

ويأتي من هذه المحفوظات النصان الهامان TM. 75. G. 1173 و ١١٧٤ اللذان عثر عليهما في القاعة L.2752 الملاصقة للجدار الغربي للقاعة L.٢٧٦٩ وكذلك بعض الأدوات المتفرقة.

وقد نشر ٥٢٦ من الرقم من أصل ١٧٢٧ وثيقة مرقمة وهي موزعة كما يلي:

(ARET I (Archi): 45; II. O. Edzard): 59; IV (Bigu-Milano): 25; V (Edzard): 24; VII (Archi): 156; MEE II

وهناك بضع خمسة عشر نص نشرت في: الدراسات الإبلائية.

(G. Pettinato): 35 (ARET, Seb):

III (G. Pettinato): 36; TV (G. Pettinato): 33; X (P. Mander); 23. in

ومنشورات أخرى: Studi Eblaiti (Seb) حيث نجد تسعين نصاً، وقد

نشرت ١٠٦٣ كسرة كبيرة من أصل ٤٧٧٠ في:

(منها ٣٩ نصاً معجماً ARET III (TM. 75. G. 3000-4101 (Archi-Bigu)

وقد نشرت بشكل متفرق بضع اثني عشر نصاً في مناسبات مختلفة خاصة في:

ARET V, MEE III, IV. وقد نشر حتى الآن ربع "الكسرة الكبيرة" ويصعب هنا تقدير المادة الكتابية وكذلك حجم كل كسرة من اللوح، إذ أن بعضها لا يحتوي أكثر من اثني عشر سطر، وقيل منها يحتوي على أكثر من سبعمائة سطر، وهذا يعني أن متوسط عدد السطور هو ثلاثة وثلاثون.

ث- وقد عثر على مجموعة في المكان L.2875 من إيلا قرب مدخل ملاصق لمكان المحفوظات الرئيسة تقدر بـ ٢٧٦ نصاً مرقمة في القوائم عام ١٩٧٦ منها: ستة نصوص منشورة هي:

TM. 76. G. 156, 188, 189, 198, 274

من قبل: Milano, As 19, 1987, 177-201

وكذلك: TM. 76. G. 788, Arch, Eblaitica I, 1987, 69 note 24

ج- وعثر على مجموعة مؤلفة من ٢٢ لوحة وجدت على طاولة خشبية في الصالة L. 2752 سنة ١٩٧٦ وقد نشرت في: ARTE VIII (E. Sollberger); ARET 15.

ح- وعثر على محفوظات في المكان ذي الرقم L.٢٧٦٤ عام ١٩٧٦ مؤلفة من ١٧ لوحة و ٢١٥ كسرة و ٩٦٠ كسيرة.

خ- وعثر عام ١٩٧٧ على ٩ ألواح و ١١٧ كسرة وكرتين طينيتين في الصالة L.٢٧١٣ وبعضها في زاوية مجاورة للصالة L.27764 وذلك في مستوى مهدم من جراء سقوط سقف القصر "G".

د- وعثر عام ١٩٨٢-١٩٨٨ على خمس لوحات جنوب قمة التل. ونشرت من قبل آركي، كذلك عثر على خمس آخر جنوبي القصر "G" في إبلا، وقد نشرت ذلك في:

Syro – Mesopotamian Studies 5/2, Malibu 1993

ذ- وهناك مواد متفرقة اكتشفت عام ١٩٧٨ أو هي:
RA 89, 1990, 102 note 5 bis
وعثر عام ١٩٨٠ على اثني عشرة كسرة، وعثر عام ١٩٨٤ على كسرة واحدة، وعلى سبع عام ١٩٨٧ وعلى أربع عام ١٩٨٨ وأخيراً على كسرة واحدة عام ١٩٩٢.

٢. النصوص المنشورة طبقاً لمحتواها:

أ- النصوص الأدبية وقد نشرت جميعها في ARET V: 6, 7, 20, 21

ويضاف إليها: TM. 75/77. G. 161, M. Kerbernik VO&, 1988, 25, 44

ب- التعاويذ والترنيمات: وقد نشرت في: ARET V: 1-5, 8-19

ويضاف إلى ذلك: TM. 75. G. 1315 حيث سينشر مجدداً من قبل كبرنيك.

ت- أناشيد تنصيب الملك والملكة: وأولها النص (TM. 75. G. 1823)، ويضاف من

١٨+١٥ سطر، وهي أناشيد تنصيب الملك أركب - دمو Irbab - Damu.

وهناك لوحة أخرى من أناشيد التنصيب الملكي منسوبة إلى الملك إشار-دمو

Ishar-Damu وهي أكثر تفصيلاً، وتحمل الرقم: TM. 75. G. 1939⁺.

وأخيراً هناك لوحة صلصالية أحدث كتب عليها مثل هذه الأناشيد وهي (TM. 75. G. 1672)

ولا ترتبط بملك، وإنما يمكن أن تتلى في أية مناسبة مماثلة.

ونشير هنا إلى أن فرانزورولي المذكور أعلاه قد قدم دراسة أولية حول الطقوس

والترانيم الأدبية نشرت في:

"II retuale per La successione al trono di Ebla" Rome, 1992.

وقد لوحظ أن كثيراً من أجزاء النصوص الأدبية قد تهشمت وفقدت، ومنها المصادر التي تحمل الرمز D وكذلك C التي اعتبرت نصوصاً مستقلة. وهناك تعارض بين ترتيبها الزمني ومعلوماتها الوثائقية الإدارية.

ث- اللوائح المعجمية السومرية الرافدية التقليدية:

نشر بعض هذه الوثائق بيتيناتو في Pettinato in MEE II

ومن ثم أعيد نشر بعضها بعد أن عثر على الكسر المفقودة، واكتمل بذلك النص، وهناك طبعة جديدة قيد النشر تضم نسخ الألواح الصلصالية المسماة الأصلية وترجماتها:

أ- النصوص المعجمية التي تدعى: esh-bar-kin

وقد تم تجميع هذه النصوص بالكامل وستنشر نسخها قريباً.

ب- اللوائح المعجمية المزدوجة اللغة: لقد نسخ بيتيناتو إلى الحرف اللاتيني Transcription القسم الأكبر من هذه الوثائق المعجمية الهامة ونشرها في: MEE IV، ولكن لم يلحق بها الكسر التي عثر عليها فيما بعد. هذه العملية أي تجميع النصوص المهشمة وخاصة بعد نشر أجزاء منها هو عملية هامة جداً، نظراً لما تحدثه من تبديل في المعطيات، وقد أظهر تلك الأهمية كونتي G. Conti في دراسته حول النسخ التي تحمل الرمز D في ١٧ Qds فقد تم إعادة تجميع النسخة الصلصالية وتوحيد نصها من جديد، وأعيد نشرها.

ت- الوثائق الملكية: إن أهم الوثائق في هذه المجموعة (معاهدة مع أبارسال Abarsal، ورسالة أنادجن Enn-Dogan عاهل ماري وهبة ابريوم الوزير إلى

ابنه). وقد كان لهذه الوثائق أهميتها لبعض الوقت، وهي الآن تؤلف مجلداً يضمها جميعاً. ونشرت المعاهدة السياسية مع أبارسال من جديد، من قبل: Edzard, Qds 18, 187-217

ث- النصوص الإدارية: كانت اللجنة الدولية لدراسة نصوص إبلا، المشكلة عام ١٩٧٨، قد قررت أن تخصص المجلدات العشر الأولى من سلسلة ARET لنشر نصوص هذه المجموعة الأكثر عدداً في المحفوظات، التي قدم عنها دراسات أولية وفق مضمونها وأشكالها، وكان ج. بيتيناتو قد كلف بمسؤولية تحضير نشر المجلدات الأربعة الأولى من سلسلة ARET ولكن بعد استقالته من تلك اللجنة، كان لا بد من إعادة النظر في مستقبل وكيفية النشر.

لقد سبق ونشر من حيث المبدأ أهم تلك النصوص في ARET VIII, IX, X وفيها وثائق متنوعة في الحجم والنوع وتمثل المحفوظات الرئيسة L.2769 وقد تقرر بشكل خاص إعطاء الأولوية للنصوص الأدبية بما فيها التعاويذ والصلوات (ARET V) والنصوص المزوجة اللغة (ARET VI) وأن يؤخذ بالاعتبار أمران أساسيان هما:

١- الانتباه إلى التأكيدات غير المتأنية المتعلقة بنصوص إبلا الأدبية، حيث فسرت مسودة تمرين بالسومرية لأحد الكتاب، بأنها نص تعويذي موجه إلى "رب السموات والأرض" وأنها كتبت برموز إبلائية خالصة.. وأنها تذكر في الفصل الأول من سفر التكوين وفق ما ذكر بيتيناتو في: Archives of Ebla, 244, 259

٢- والأمر الثاني هو المناقشات الحامية المتعلقة بتصنيف اللغة الإبلائية بين فروع اللغات السامية أو الأكادية وفروعها، وعندما ظهرت الدورية MEE IV مؤخراً فإن نشر اللوائح المزوجة اللغة (ARET VI) قد تم تأجيله.

هذا وتقدم لنا الوثائق المنشورة في المجلد ARET II أمثلة على جميع الأقسام الإدارية

تقريباً. كما أن المجلدين ARET I و IV قد خصصا من أجل حسابات، من أجل حسابات إنتاج الألبسة، وهي الأوفر عدداً في النصوص الاقتصادية.

وقد جمع في المجلد السابع من ARET عدد هام من النصوص المتعلقة بالمعان وحساباتها، وهي قسم آخر.

ونشر في المجلد الثالث من ARET III عدد كبير من الكسر النصية، التي لم تكن قد اختيرت وفق شكلها وحجمها، وإنما تبعاً لوضع القوائم. وكان يجب إعطاء سلسلة هامة من الأمثلة على اللوائح المعجمية.

- هناك برنامج يهدف إلى تنسيق جميع النصوص المسمارية المنشورة وموادها في الكمبيوتر. وقد ظهر المجلد الأول من ARET II ويضم جميع الأسماء الجغرافية.

٣. الجدول الزمني التاريخي Chronology:

لا يوجد سوى بضع عشرة من الوثائق التي يمكن تأريخها، نسبة إلى بعض الحوادث أي (في السنة التي Dish mu) أو بعدد متبوع بكلمة مو mu "سنة (س)". وقد استخدم اللقب السومري إن En بمنى ملكوم (ملك) في نصوص إيلا. دون أن يذكر اسم شخص محدد.

ولكن هناك حالتان فقط لشخصين هما اجرش خالام Igrich - Halam واركب دمو Irkab-Damu يحملان لقب "ملك إيلا" في النصوص، ((en ib-la (ki)). هذا ولا بد من العودة إلى هذا الموضوع - السلم الزمني - واتباع أساليب نقدية أخرى من أجل وضع سلم زمني لوثائق إيلا.

هذا ونقدم لنا نتائج دراسة نصوص الهبات والمنح المسجلة فيها أسماء عشرة عواهل متوفين هم: ويذكر هكذا Dingir دينجير اسم علم، رب - اسم علم):

A-bur-li-im	(١) أبورليم
A – gur-li-im	(٢) أجورليم
I-bi-da-mu	(٣) أبي دمو
Ba-(ga-)da-mu	(٤) باجا دمو
En-ar-da-mu	(٥) اندمو
I-Shar-ma-lik	(٦) إشرملك
Kun-da-mu	(٧) كون دمو
A-dub-da-mu	(٨) أدوب دمو
Ig-ri-ish-ha-lam	(٩) اجرش خالام
Ir-kab-da-mu	(١٠) اركب دمو

(AET VII 150)

وكان أول هؤلاء الملوك الذين ذكروا في النصوص التي تم التعرف عليها هو كون دمو، وذلك في تقريرين إداريين يتعلقان بعهده أو ببعض طقوس الدفن (TM. 77. G. 23 + 80. G. 207, TM. 75. G. 2286) في حين أن العاهل أدوب دمو مجهول لم يذكر ولربما لم يحكم إلا لفترة قصيرة. هذا ويبدأ تاريخ المحفوظات الإبلانية مع عهد اجرش خالام ويتواصل مع عهد اركب دمو.

وهناك نص هام هو TM. 74. G. 120 يذكر لائحة تبدأ باسم إبلا. وهو نص تحريف مدرسي على الأغلب، ويتبع ذلك خمسة عشر اسم علم، ومن ثم عشرة أسماء منشورة في AET VII 150 تنتهي باسم إشر دمو Ishar damu الذي يلي اركب دمو في الحكم ويخلفه.

وهناك أربعة أشخاص مقدسين من أصل خمسة عشر أسماء وردت في الترانيم الخاصة بتتصيب الزوجين الملكين، آن-مانا، ساجي-سو، ابني ليم، اشرد دمو. ("A"/ EN – ma-na, Sa-gi-su, I-bi-ni-li-im, Ish (11) – ru (12)-ud-da-mu)

ويمكن الاستنتاج أن هذا النص يحفظ ستة وعشرين اسماً من أسماء السلالة الإبلانية التي يمكن أن تكون قد حكمت قبل القرن السابع والعشرين ق.م...؟

إن الوثائق المتعلقة بالتسليمات (وأحياناً أعطيات) (مو) المدعوة مو-دمو mu-DU لا تسمح لنا أن نؤلف بين مجموعة من الملوك وبعض الشخصيات الإدارية المركزية التي ذكرت في النصوص مراراً، ولكن ذلك يسمح لنا بتأريخ عدد من الألواح. وطبقاً لما ورد في حوالي ثلاثين نصاً، فإن بعض "النبلاء"، لو لوجال لوجل Lugal-Lugal (حيث أن الكلمة التي تعني بعل ba'1 بالإبلانية).

وقد سلم الفضة والألبسة، وبين هؤلاء النبلاء وعددهم يتراوح بين ١٥-٢٠ نبيلاً أحدهم يدعى "تير" والثاني "درميا"! تير ودرميا الذين سلما الهبات الهامة (حوالي ٢٥ إلى ٦٠ كغ من الفضة وبضع مئة من الألبسة).

إن نهاية TM. 75. G. 1237 التي تذكر اسم "اجرش خالام" ملك إيلا، ترينا أن هؤلاء "النبلاء" كانوا معاصرين لذلك الملك.

وقد تم تأريخ عدد ضئيل من هذا النوع من النصوص mu-du بعدد (أقصاه هو ١٢) متبوع بـ mu "سنة".

وهكذا فقد حكم اجرش خالام اثنتي عشرة سنة على الأقل وهناك نبيل آخر يدعى أرلوم الذي تجاوز "درميا" و "تير" بكمية ما سلم إليه، وهو الذي يأتي في المركز الأول في الإدارة.

ويذكر أقدم نص ترنيمي (ARET XII) TM. 75. G. 1823+ أن اجرش خالام قد توفي وكرم، وقد ترأس أرلوم تنصيب الملك الجديد، الذي يذكر بالاسم، طبقاً للآحنتين ARET VII 150 و TM. 74. G. 120، ولكنه لا يمكن أن يكون إلا أركب دمو ويبقى أرلوم على رأس الإدارة لزمان قصير فقط، ومن ثم استعيض عنه بـ Ib-ri-um الذي

كان من ضمن مجموعة تحمل لقب لوجال لوجال Lugal-Lugal أي بعل بعل مثل أجرش خالام، وتمثل النصوص المدعوة مودو mu-du الخاصة بإبريوم موضوعاً أكثر تعقيداً.

وتسرد قائمة أحد الأقسام الكبيرة، الكميات المسلمة من قبل إبريوم نفسه، الذي يبدو أن وظائفه تضعه بمرتبة وزير، هي مئة كيلو جرام من الفضة تقريباً، (في إحدى المرات ذكر تسليم كمية ٣٢٩ كغ فضة!)، وذكر تسليم ما بين اثنين إلى خمسة كيلو جرامات من الذهب، وأكثر من ألف قطعة من الألبسة!.

ويلي ذلك القسم المتعلق بالتسليمات التي تمت من قبل "النبلاء"، والتي تتعدى مجموعها السدس أو عشر الكمية من المواد المسلمة من قبل إبريوم.

وهناك قسم ثالث للتسليمات حيث يذكر الهبات المعطاة لأصدقاء في المدن المجاورة.

وهناك قسم أخير ورابع لبعض التسليمات الإضافية.

لقد كان إبريوم "كوزيز" على رأس الإدارة لفترة لا تقل عن سبعة عشر عاماً حيث ذكرت جميع وثائق الهبات أو الأعطيات mu-du باسمه، ولا بد من الإشارة إلى أن بعضها قد يكون نتيجة بعض النصوص المهشمة من جديد. ويظهر إبريوم في ترانيم تنصيب العرش التالي (TM. 75. G. 1939⁺)، الذي أعلن ملكية اشر دمو، رغم أن هذا الملك الجديد لم يذكر بالاسم. إن فترة إبريوم تتزامن، على نطاق واسع، مع عهد اركب دمو الذي حكم سبعة عشر عاماً، حيث تزينا الوثيقة MEE II 1 أن إبريوم قد توفي سنة اركب دمو ذاتها، عندما أقام اشر دمو الترنيمات والصلوات المطهرة بعد موت سلفه.

وقد خلف إبريوم على رأس الإدارة ابنه المدعو أبي ذكير Ibbi-Zikir حيث تطورت ثروة القصر في عهده بشكل ملحوظ، فبلغت كمية الفضة المسجلة بين ٤٢٠-٧٣٠ كغ

والذهب بين ٢٠-٢٢ كغ، و ٣٠٠٠-٥٠٠٠ قطعة من اللباس. وتسجيل اللوحة (TM. 75. G. 227) تسليم الذهب سنة بعد سنة، مصنفة إياه كملكية لأبي زكير، وقد بلغت كمياته خلال سبعة عشر عاماً حوالي ٢٨٧ مينا. وقد عثر على هذه السجلات في القسم الأول من الهبات، ويمكن ترتيب كثير من تلك الوثائق في سلم زمني منظم.

من جهة أخرى، فقد دامت خدمة الوزير أبي زكير سبعة عشر عاماً في عهد اشردمو. هذا ولا توجد ترانيم تتصيب ثالثة أو نصوص أخرى في المستوى الأخير من حضارة مدينة إيلا، أما تلك التسجيلات المتعلقة بتسليم أغنام (التي نشرها بتيناتو في OA 18, 1979, 58-215) فقد سجلت في عهد الملك أن آر-آل أجادمو Ir/II-'a-ag-du-mu الذي كان ابناً لاشردمو وخلفه المسمى. وهذا يثبت أن تهديم مدينة إيلا يتصادف مع نهاية اشردمو.

لقد توفي ابلول إيل Iblul-II صاحب ماري خلال عهد اجرش خالام. هذا ولا وجود لأي معاصر آخر من السلالات الرافدية بشكل مؤكد. وقد يجوز الاستنتاج، من خلال النص (TM. 57. G. 10091) أن ملك كيش Kish خلال عهد اشردمو كان اسمه اشكونو Ish-Km-nu-nu.

ويعكس لنا ثمانون ونيف من نصوص إيلا أهمية علاقاتها مع مدينة كيش السومرية بينما لم يذكر أي شيء عن أكاد. وسبب ذلك، كما يبدو، أن نهاية دور إيلا يؤرخ مع بداية عهد شروكين المعروف بصارجون Sargon أو بعده بعدة عقود.

٤. تنظيم الدولة:

كان نموذج إدارة المدينة القديمة في العراق وسورية يبنى على أساس معلومات نصية ووثائقية (وليس على أساس معلومات أثرية وحسب) وكان هذا النموذج يؤخذ كمرجع من مدينة جرسو Girsu عاصمة دولة لاجاش السومرية، حيث عثر فيها على عدد لا

بأس به من الألواح. أما اليوم فمن الضروري أن نأخذ في الحسبان أن نصوص محفوظات إبلا التي كانت معاصرة لمثيلاتها من نصوص جرسو، ولها نظامها الخاص المختلف، ضمن تطورها التاريخي. وتعتبر إبلا تجربة مختلفة، وتشكل منطلقاً هاماً وخاصة لدراسة الثقافة المدنية. حيث نلمس في كلتا الحالتين - جرسو وإبلا مجتمعاً شديد التمرکز في بنائه الإداري الملكي. لم يكن "بيت الملك" é-en في إبلا سكناً للملك وحسب، بل كذلك لأولاده ورجال آخرين من أقربائه وسلالته، ولأكثر من أربعين شخصية تدعى المشايخ أو القدماء الذين يجلسون قرب العرش وهكذا فإن أبأ - abb- abba-al - tuch-shu dul وهو لقب يعزى إلى أهم شخصية رسمية. وكما تشير إلى ذلك المخصصات من الطعام (ARET IX) فإن التقدّمات المتكررة إلى الآلهة تتم في "بيت الملك" حيث يتم استقبال العوالم والرسل الأجانب أيضاً، وقد وظف لخدمة بيت الملك أكثر من ألف خادم أي جرش جرش gurush-gurush.

وكانت الملكة وشقيقات الملوك وبقية "نساء الملك" (دام إن) dam en اللواتي يقدر عددهن من بين ٢٦-٥٠ امرأة، ويضاف إلى هؤلاء امرأة موظفة للخدمة وتحضير الطعام وغيره، وكلهن كن يعشن في بيت الملك é en (ARET IX, 47, 51). ولكن في جناح مخصص لهنّ. وهو بالتأكيد جناح الحريم المعروف في جميع قصور المشرق وهو هنا الأول من نوعه في التاريخ. وقد كان هذا القسم معزولاً بشكل قاطع عن قسم الرجال وكذلك الحال بالنسبة لتوزيع مخصصات الطعام والمؤونة.

ويضم هذا التجمع السكني الملكي الإداري والمركزي، (إضافة إلى بيت الملك) ما يدعى بـ ساج (كي) (Sag (Ki) (SA. ZA (Ki) وهنا يعيش الأفراد المهنيون المتخصصون في جميع الأعمال المتعلقة بالقصر، وأمثال هؤلاء: المغنون والحلاقون والمراسلون والحمالون، ويبلغ عددهم بين ١٥٠ إلى ٢٥٠، أما النجارون والحدادون فقد يصل عددهم إلى ٥٠٠، Simug ويوجد حوالي ٥٠٠٠ عامل موزعين على مجموعات عمل (ir-a-num).

وهناك موظفون آخرون يقطنون في الضواحي (ir-a-num) والواقع أنه يمكن القول أن وجود المدينة بكاملها يقوم على وظائف القصر وتنظيماته.

وهناك لائحة بتوزيع أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مكيال للمحاصيل الحقلية (النص 57. TM. 190039) بين المستفيدين من الفئات التالية:

- ١- الشيوخ أبأ Abba
- ٢- السماسرة مشكيم Mushkim
- ٣- موظفون (ur₄) متنوعون
- ٤- نجارون نجار (nagar) لاحظ الأصل السومري لكلمة نجار

هذا وتفيدنا النصوص المتعلقة بإنتاج المزارع والحقول بإعطاء فكرة عن الاستيطان الزراعي السريع والمنتج؟ والكثيف في إيلأ.

وتعكس لنا نصوص أخرى تبادل السلع التجارية عن طريق القوافل والمبعوثين بين دول المدن (ARET I, 219-235) وأن هذا النشاط الفعال لا بد وأنه قد بدأ في سورية الشمالية منذ نهاية القرن الخامس والعشرين على الأقل، ومن ثم تطور نحو مزيد من الاستقرار والانتعاش.

هذا من الصعب التنبه إلى المصاعب التي تشوه رؤيتنا لبعض المشكلات من خلال النصوص المتوافرة لنا من محفوظات إيلأ، إذ لا توجد لدينا أدلة من تلك النصوص عن القبائل والفصائل البدوية التي استوطنت شمال سورية آنذاك أو التي استقرت في بعض المدن، واستقلت الواحدة عن الأخرى، وصارت جزءاً من المدنيين المستقرين، وهو واقع على عكس ما نلمسه من خلال المعلومات التي قدمتها لنا محفوظات مدينة مار ي في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد. وهناك انطباع وحيد يفسر هذا الواقع وهو أن البدو آنذاك كانوا محصورين في منطقة بين إيلأ وشمالى مدينة قطنأ وجبل بشري حيث كان يعيش بدو المارتو Martu.

ومع بداية القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بدأ السوريون القدماء تكوين دويلاتهم في مناطق سورّية، كما حدث سابقاً في بلاد بابل وفي كيش. وكانت مدينة ماري، بصورة أساسية، وفي عهد أبلول ايل (طبقاً لرسالة اناجن (TM. 75. G. 2367))، وقد ورثت السيطرة على مناطق الفرات الأوسط، وكانت مدينة إيمار Emar قد تعرضت مراراً للهزيمة من قبل فصائل ماري التي وصلت حتى الجبال التي تطوق شمال غرب حلب/خلب، وكذلك شمالها في منطقة مدينة خشوان Hasswan. وكانت إبلا، التي دفعت دية أو ضريبة مرتفعة إلى أبلول ايل من الفضة والذهب قد خلفت، بعد بضع قرون، سيطرة ماري وعملت على موازاتها بشكل خاص.

وتشير المعاهدة مع أبرسال Abarsal إلى أن أراضي إبلا قد امتدت حتى الفرات شرقاً وشمالاً حتى كركميش، في عهد اجرش خالام، وامتد نفوذ إبلا إلى ما بعد مدينة إيمار في عهد اركب نمو، رغم أن إيمار بقيت دويلة مستقلة. في حين أن نفوذ ماري قد وصل إلى توتول Tuttul على ضفة نهر البلخ، ورغم هذا فقد كان مبعوثو إبلا يعرجون على معبد الإله دجن/داجان الواقع في توتول ويقدمون له الأضاحي والعبادة. وهكذا توطّدت دعائم الدويلات الإقليمية من خلال وجود إبلا وماري وكيش، فني منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وهي تقابل بشكل واضح، نظيراتها في المنطقة خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، الممثلة بدويلات يماض وماري وبابل وناجار (تل براك) ذات الأهمية الخاصة التي كانت تخضع لسيطرة دويلة شباط انليل (تل ليلان) وبلاد أبوم Apum المحيطة بها.

٥. الديانة:

يرد في وصية الوزير ابريوم بوراثة ابنه له - 1 XV - 14-7 IV 1444 (TM. 75. G. 1444) (SEB 4, 1981, 38, 44) 8، وتأكيد الملك عليها، ذكر لعدد من الآلهة وهم ثلاثة:

١- الإله كورا Ku-ra^(d)

٢- الإله اوتو Utu^(d)

٣- الإله آدا A-da^(d)

ويبدو من المؤكد أن الإله كورا هو، دون شك، الإله الرئيس في مجمع آلهة مدينة إيلا، فهو الوحيد الذي يتلقى أعطيات فردية داخل "بيت الملك" é-en، في حين أن بقية الآلهة لا تذكر باسمها بل يسجلون مجرد "الآلهة". دينجر دينجر dingir-dingir.

ويتلقى كورا مع زوجة المؤنث الآلهة براما Barama^(d) ليشكل الزوج الإلهي الرئيس في ترانيم الصعود أو تنصيب الملك. أما إله الشمس اوتو فهو بالتأكيد شمس الذي أعطاه العراقيون الأكاديون رمزه التصويري الذي لم يظهر هنا ولكنه اعتبر آلهة مؤنثة في إيلا كما ستكون حاله في أوجاريت ولدى العرب فيما بعد وكذلك يظهر شمس في الترانيم ARET V 312 حيث أن السابقة المؤنثة في الصيغة الفعلية د-أ-با-أن /ti-a-ba-an/ تيابان قد نسبت إلى أوتو:

"أنت تصنعين اللبن (الطيني)" وقد تأكد هذا الأمر استناداً إلى النص:

TM. 75. G. 2593 rev. IV 4-7: 1 aktum-TUG₆ Utu-nita in^(x)

وإذا كان المقطع السابق يوحي بضرورة وصف اوتو كمذكر أي نيتا nita فلا يمكن تفسير السبب هنا إلا "بالاستثناء"، فلأن الإشارة هنا تقصد إله الشمس البابلي المذكر "المستورد" من بلاد الرافدين، حيث يرد ذكره في الصلوات والترانيم ARET V6.

أما الإله الثالث والأخير Adde فهو أهم إله سوري متخصص بالطقس وتبذلاته.

ويوجد واحد وعشرون لوحة أو رقيم يسجل تسليم الأغنام إلى القصر الملكي بموجب لوائح نظامية، في القسم الأول من المحفوظات، وهذه الأغنام هي أضحيات مقدمة

للآلهة. وهي تذكر تلك الآلهة مراراً، ولكن لا يتعدى عددها الأربعين إلهاً، وترينا قوائم الآلهة تلك، أن مجمع الآلهة الإبلاوي قد تألف من آلهة سومرية أكادية تعتبر القاعدة الأساسية في المجمع الرافدي.

ويظهر إلى جانب الآلهة المذكورة أنفاً الآلهة التالية:

- دنجر أش - دار Ash-dar^(d)، أي أشتار/عشتار Ishtar.

- دنجر داجن/جان Da-gan^(d)، ربّ مدينة توتول.

- بي/لوجال دودولو Be/Lugal Du-du-lu^(ki).

الإله بي لوجال ربّ مدينة دودولو

- دنجر جالشالو (جاشارو) Ga-sha-lu (Gasharu)^(d) الإله جاشيرو وهو اسم علم معروف فيما بعد في حلب.

- دنجر جاميش، كاموش Ga-mi-ish^(d).

- دنجر راساب Ra-su-ap^(d) (Reshef) الإله رشف...

أما الآلهة الرئيسة في المستوى الثاني بعد الإله كورا منهم:

- دنجر ايدا كول/بعل I-da-KUL/bal^(d) ويعتقد بعض المتخصصين أنه إله من أصل أكادي.

- أما زوجة الإله السابق فهي الآلهة: دنجر بي - مي = بعلتوم = السيدة.

- وهناك الآلهة المدعوة آ-دام-ما A-dam-ma^(d)، وهي الزوج المؤنث للإله رسب/رشف (وهو الذي سيصبح الإله الرئيس لدى الحوريين). اعتباراً من منتصف الألف الثاني ق.م، حيث يبدأ ظهورهم في سورية والرافدين كقوة سياسية.

-ننجو أماريجو Am-ma-ré-gu^(d)، وهو إله مقدس في الجبال حسب ما تشير إليه النصوص الحورية المتأخرة.

-نجر أشدابعل. Ash-da-bil^(d)، وسيصبح هذا الإله "الثالث" إله الحرب لدى الحوريين (في غرب سورية) القادمين من الأناضول.

-نجر شار-را/اش SHARA-ru-ish^(d)، أي الإله اشخارا-Ishhara.

-وأخيراً فإن الإله أو القدرة القدسية بليخا Ba-li-ha هي في الواقع نهر البليخ الذي ما يزال يحمل الاسم نفسه منذ أكثر من أربعة آلاف سنة؟ ويبدو اسم هذا النهر بصيغتين كتابيتين مختلفتين ذلك أنه يشكل من مجريين من المياه. ويبدو أن هذا الاسم أكادي.

وهناك بعض المعلومات والأفكار التي يمكن استنتاجها من جراء تحليل الأسماء الشخصية الدينية. وأكثر الأسماء التي تتردد في النصوص هي الاسم ملك Malik ودمو Damu وإل-إله Il وليم Lim وأشار Ishar وتحمل هذه الأسماء معانٍ تسبغ على أصحابها سلوكاً خاصاً، فالملك-ملك، وأشار هو العادل المحق، ودمو تعني الأصيل-والدم (وهي نفس المعنى العربي)، وليم تعني القبيلة أو القبيل وليم-ليمو يعني الكثير المتعاطف.

ويضاف إلى ما تقدم أسماء أقل تردداً في النصوص ولكنها هامة وتعطي فكرة عن أصولها وهي:

-أدا-أدد Adda.

-أشدور Ashdur.

-دجن Dagan.

-كميش Gamish.

-كورا Kura.

-وأخيراً اسم راسب Rasap.

ويلاحظ أن جميع الأسماء الشخصية المذكورة هي أسماء آلهة في المجمع الديني الإبلائي الذي يترأسه كورا كما أسلفنا.

مكانة /الإله آل/ إله (القدرة):

أن وجود هذه الأسماء ومعانيها لا يعني أن ديانة إبلا كانت شعبية. ولكن نلاحظ من جهة أخرى، أن عشرة أسماء من أسماء ملوك إبلا مركب من كلمتي ليم ودمو. ولعل هذا يعكس، دون شك، التقاليد الرافدية في العصور المبكرة، إي في مرحلة ما قبل التاريخ وظهور المدينة، وهذا لا يعكس بالضرورة الأهمية البالغة التي سيصل إليها فيما بعد إيل-إله. وهو يدخل في الأسماء المركبة بعد الاسمين ملك ودمو. وسيكون /عاملا إيل/ إله- أي القدرة، اسماً أساسياً في تركيب أسماء العلم في العصر الأكادي والأموري.

هذا، ويجب الإشارة إلى أن اسم (آل) لم يظهر إطلاقاً في القوائم الإدارية. لتوزيع الأضاحي للآلهة، (المنوه عنها أعلاه) ذلك أن (آل) هي صفة كل إله فهو إله الآلهة (القدرة) فهو يدل قبل كل شيء على /القدرة/ المجردة التي لا يرقى إليها أي إله آخر، وهي قدرة لم ولن تحددها نصوص إبلا، وإنما ستظهر واضحة في نصوص الديانة البابلية فيما بعد... وسنلاحظ أيضاً في النصوص الأوجاريتية بعد منتصف الألف الثاني. أن (آل) /إله EI/ يعني "والد الآلهة" أو رب الأرباب وإله الآلهة، وكان دائماً على رأس المجمع الديني الرافدي والسوري.. أما نصوص إبلا فإنها تتعارض مع هذه المكانة.